إبداع المرأة العربية

في حقل الصحافة النسائية

في الوطن العربي

البدايات – التحديات – الآفاق

أ.د. عواطف عبد الرحمن

تمهيد:

قبل أن نتحدث عن الصحافة العربية النسائية علينا أن نؤكد مجموعة من الحقائق، أولها: أن قضية تحرير المرأة تعد جزءًا عضويًا من قضايا تحرير جميع المستضعفين من الرجال والنساء الذين ينتمون إلى الفئات المقهورة طبقيًا واجتماعيًا وثقافيًا وسياسيًا وفى مقدمتهم أهالي الريف والبوادي الذين يعانون أساسًا من التهميش السياسي والاقتصادي، ويضاف إلى ذلك التهميش الثقافي والاجتماعي بالنسبة للمرأة أي الطوق الحديدي الذي شكلته العادات والتقاليد والقيم السلفية عبر مئات السنين والتي رسخت فكرة النقص الأنثوي والهيمنة الذكورية . والوجه الأخر لهذه الحقيقة يتمثل في كون الإعلام جزءًا لا يتجزأ من النظام السياسي والثقافي العربي ولا يمكن أن نتناوله بمعزل عن هذا النظام وهذا يقودنا إلى الحقيقة الثانية التي تشير إلى بروز وجهين متناقضين للقضية ، فإذا كان لابد أن نعترف بأن هناك تحسنًا ملموسًا في أوضاع النساء العربيات خلال النصف الأخير من القرن العشرين خصوصًا في ظل الجهود العالمية التي بذلتها الأمم المتحدة من أجل النهوض بأوضاع النساء ومحاولة إدماج المرأة في تنمية مجتمعاتها والذي تمثل في إستراتيجية نيروبي ١٩٨٥ ، ومنهج العمل الصادر عن مؤتمر بكين ١٩٩٥ ، وهذا هو الوجه المضيء للقضية، فإن الوجه المعتم يشير إلى أن معظم الأهداف الواردة في وثائق هذه المؤتمرات لم تتحقق فلا تزال النساء العربيات محرومات من معظم حقوقهم المدنية والثقافية والاقتصادية فإذا كانت نسبة التعليم تتراوح ما بين ٣٥٪ إلى ٥٠٪ بين النساء العربيات فإن نسبة الأمية تتراوح ما بين ٤٠٪، ٨٨٪ ولا يزال ٧٠٪ من البنات في سن التعليم خارج المدرسة كما أن مناهج التعليم تكرس التقسيم التقليدي لأدوار المرأة والموروث الثقافي الذي يعزز فكرة النقص الأنثوي، وتشكل النساء نسبة تتراوح بين ١٠٪،

٤٠٪ من قوة العمل العربية ولكنها محصورة في القطاع الزراعي والخدمي وتفتقر إلى الضمانات التأمينية في كثير من الدول العربية والنساء العربيات هن دائمًا أول ضحايا البطالة . هذا ولا تزيد نسبة مشاركة المرأة العربية في المؤسسات التشريعية عن ٤٪ بينما تزيد في كثير من الدول النامية عن ١١٪، ورغم أن المرأة العربية شاركت في جميع معارك التحرر الوطني والمقاومة ضد الغزو الأجنبي في مصر وسوريا والجزائر وفلسطين وعدن وجنوب لبنان .. إلا أن مشاركتها في مواقع صنع القرار لا تزال محدودة إذ لا يزيد عدد الوزيرات عن ١٠ وزيرات من ٦٠٠ وزير في الوطن العربي.

وهنا لنا وقفة . . علينا أن نتذكر دومًا أن المرأة العربية كانت سندًا ورفيقًا للثوار في ثورة المليون شهيد في الجزائر، كما كانت حارسة أمينة للتراث العربي الإسلامي على امتداد ١٣٠ عامًا في مواجهة محاولات الفرنسة وقطع اللسان العربي ومحو الذاكرة القومية .

وفي فلسطين ظلت المرأة العربية على امتداد أجيال تزويد ميادين المقاومة بآلاف الشهداء منذ هبة البراق ١٩٢٩ وانتفاضة القسام ١٩٧٥ والثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦ - ١٩٤٨ .. وبعد اغتصاب الوطن الفلسطيني وإقامة الكيان الصهيوني ظلت تواصل دورها الخالد في المنافي تزود ساحة النضال بمزيد من الشهداء، تنجب وتربي وتدفع بسخاء بفلذات أكبادها فداء ،

وفي الجنوب اللبناني كانت لمرأة اللبنانية نموذجًا يحتذى في مواجهة الغطرسة الصهيونية أعطلت الدرس لجميع نساء العالم صمودًا وفداء واستمرارية وفي العراق لا تزال المرأة العربية صامدة شامخة في مواجهة الحصار الظالم للوطن الشقيق على مدي عشر سنوات .. وفي السودان قاومت المرأة السودانية جنبًا إلى جنب مع الرجل كافة أشكال السيطرة الأجنبية ومحاولات تمزيق الوطن إلى شمال وجنوب . . وتتوالى صور الصمود والاستبسال من جانب المرأة العربية في ليبيا واليمن وسوريا ودول الخليج تحاول أن تفك أسر التركة التاريخية من الموروثات البغيضة التي تحاصر عقلها وإرادتها تحت مسميات وحجج عديدة .

ورغم التعديلات التي طرأت على قوانين الأحوال الشخصية مما يضمن للمرأة العربية توفير حماية أكبر وحقوقًا أوسع إلا أنها لا تزال تعاني من بعض صور التمييز التي تتمثل في احتفاظ الزوج بالحق المطلق في الطلاق وتعدد

الزوجات وحضانة الأطفال ولا تزال محرومة من منح جنسيتها لأبنائها ، وتعاني معظم النساء العربيات في الحضر والريف والبادية من شتي أشكال العنف المادي والمعنوي الذي يمارس ضدهن سواء داخل الأسرة أو في أماكن العمل أو في الأماكن العامة مما يعد انتهاكًا صارخًا لحقوق الإنسان .

ويضاف إلى ذلك الآثار السلبية لسياسات التكيف الاقتصادي الهيكلي من تفاقم المديونية واتساع الفجوة التكنولوجية بين العالم العربي والدول الصناعية المتقدمة في ظل غياب التعاون العربي مما أدي إلى بروز صراع الأدوار بين أعضاء الأسرة العربية إناث وذكور وتفكك العلاقات الأسرية وانتشار ظاهرة الطلاق بكل مترتباتها الحادة على تنشئة الأجيال حيث توارث القيم الأخلاقية واكتسحت منظومة القيم الاستهلاكية المصاحبة للعولمة في طريقها العديد من الجوانب الايجابية التي يمز بها التراث العربي الإسلامي مثل قيمة العمل والتضامن الأسري واحترام كبار السن وتقديس الأبوة والأمومة .

ويصبح السؤال المطروح ماذا قدمت المرأة العربية للإعلام ؟

إطلالة تاريخية على الصحافة النسائية في الوطن العربي ؟

لقد كانت المشاركة النسائية في الصحافة العربية أسبق من كل الميادين فمنذ نهايات القرن التاسع عشر احتلت الصحافة النسائية موقعها على ساحة العمل الإعلامي المصري حيث برزت هند نوفل في مجلة الفتاة ١٨٩٢ ولبيبة هاشم في مجلة النهضة النسائية ١٩٠٩ ثم باسم عبد الملك فر (المرأة المصرية) وتفيدة علام في (أمهات المستقبل) ومنذ عام ١٩٠٨ توالت أسماء الكاتبات والصحفيات جميلة حافظ، وفاطمة نعمت راشد، ثم مي زيادة، وجميلة العلايلي، ووداد سكاكيني، وأسماء فهمي، وسهير القلماوي، وبنت الشاطئ، وأمينة السعيد وفاطمة اليوسف التي أسست أول مجلة سياسية في العائم العربِ عام ١٩٢٥ (مجلة روز اليوسف) التي لا تزال تصدر حتى اليوم .

وإذا كان لمصر فضل السبق في ظهور الصحافة النسائية في نهاية القرن التاسع عشر ، فإن القرن العشرين قد شهد منذ بداياته الأولى ظهور الصحافة النسائية في سائر الدول العربية .

إذ حظي لبنان بالمرتبة الثانية في ظهور الصحافة النسائية وذلك في أوائل القرن العشرين أما سوريا فكانت الثالثة من حيث الترتيب حيث صدرت عام ١٩١٠ مجله العروس .

وتنوعت اهتمامات الصحافة النسائية في ذلك الوقت بين الاهتمامات التقليدية للمرأة من ناحية وبين مناقشة قضاياها والمطالبة بحقوقها الشرعية ومن القضايا التي ناقشتها الصحافة النسائية في مصر تعليم المرأة . أما لبنان فكنت الصحافة النسائية بها تدعو لترقية المرأة ثقافيًا والاهتمام بالأمور الأسرية بينما اقتصرت الصحافة في سوريا على التركيز على تلك الموضوعات النسائية

حيث كثرت فيها النصائح الزوجية والبيئية والملاحظات الخاصة بتربية الأطفال وإعداد الطعام واختيار الملابس . هذا واتسمت الصحافة خلال هذه الفترة بالمبادرات الفردية وارتباط تلك الصحف بأصحابها وخلال فترة العشرينيات من القرن العشرين امتد تيار الصحافة النسائية ليشمل العراق إلى جانب مصر ولبنان وسوريا حيث بدأت الصحافة النسائية في العراق سنة ١٩٢٣.

وتطورت الصحافة النسائية في مناقشة قضايا المرأة لاسيما في مصر حيث طرحت الدعوة إلى التوسع في تعليم المرأة ق إشراكها في التعليم العالي أسوة بالبنين والسعي لتحرير المرأة المصرية من قيود العادات والتقاليد كما شاركت المرأة المصرية في ثورة ١٩١٩ أول ثورة تحريرية في الوطن العربي ، وكان لذلك أثره الإيجابي في طرح قضايا جديدة مثل السفور والمطالبة بحق المرأة في المشاركة السياسية حيث طالبت هدي شعراوي ورفيقاتها بحق المرأة في التصويت في الانتخابات النيابية.

وفي لبنان استمرت الصحافة السائية في الحث على ترقية المرأة أدبيًا وعلميًا وبث روح التربية الاستقلالية وتحسين الحياة العائلية ، هذا إلى جانب الاهتمامات التقليدية مثل التدبير المنزلي وشئون الأسرة والتي ظهرت في مجلة (ليلى) العراقية التي قادت حملة لتحرير المرأة في العراق .

هذا واستمرت المبادرات الفردية هي الغالبة في الصحافة النسائية خلال هذه الفترة.

أما فترة الثلاثينيات من القرن العشرين : فقد شهدت ظهور الصحافة النسائية في بلاد المغرب العربي وبالتحديد في تونس حيث كانت الدولة الخامسة في إصدار المجلات النسائية وتميزت هذه المرحلة بجدية وأهمية لقضايا المطروحة بالصحافة النسائية خاصة تلك التي تتعلق بحقوق المرأة ففي مصر اهتمت

الصحافة النسائية بخلق وعي نسائي بين القراء والقارئات وإقناع المواطنين بمكانة المرأة وما تؤديه من دور هام في البلاد، كما خلقت الصحافة النسائية أدبًا نسائيًا له طابعه الخاص ، ونبهت الصحافة النسائية في لبنان مخاطر التخلي عن التقاليد وأكدت ضرورة الاهتمام بتعليم المرأة ، وعالجت الصحافة النسائية بالعراق قضايا تحرير المرأة وبعض المشكلات الاجتماعية المرتبطة بها مثل إجبار الفتيات على الزواج والمطالبة بتخفيض المهور وكذلك الدعوة إلى نزول المرأة لميدان العمل هذا ولم تقتصر الصحافة النسائية العربية على معالجة قضايا المرأة بل تطرقت إلى القضايا والأحداث السياسية كذلك .

ويلاحظ في فترة الأربعينيات من القرن العشرين : أنه بالرغم من صدور عدد كبير من الصحف النسائية خلال هذه المرحلة إلا أنها اتسمت في معظمها بالاهتمام بالأمور التقليدية للمرأة ؛ كفن التجميل، الاهتمام بالمظهر، صحة الأم والطفل. ويمكن أن يستثني من ذلك مجلة بنت النيل لدرية شفيق التي سعت من أجل نيل المرأة لحقوقها السياسية والمطالبة بإصدار التشريعات التي تكفل ذلك ، أيضًا مجلة (بنت الوادي) في السودان أولي المجلات النسائية به والتي طالبت بتعليم وعمل المرآة .

وفي فترة الخمسينيات من القرن العشرين : دخلت دول عربية جديدة مجال الصحافة النسائية كالأردن مثلا التي أصدرت مجلة (فتاة الغد) سنة ١٩٥٠ وعالجت المشكلات الاجتماعية للمرأة . وشهدت هذه الفترة التزاوج بين إثارة القضايا الخاصة بتعليم وعمل المرأة وبين الاهتمام بالأمور التقليدية (التجميل - الأزياء - المطبخ .. إلخ) وذلك على مستوي الصحافة النسائية العربية ككل .

كما بدأت المبادرات الفردية في إصدار الصحف النسائية تقل وبدأ يظهر دور الجمعيات والاتحادات ودور الصحف وتجلي ذلك في صدور مجلة حواء الجديدة التي صدرت عن دار الهلال عام ١٩٥٧ ، مجلة حواء اللبنانية التي أصدرتها الجمعية الخيرية الأرمنية العامة . وكذلك مجلة الإتحاد النسوي العراقي التي أصدرها الإتحاد النسائي ببغداد

الصحافة النسائية المعاصرة:

لقد شهدت فترة الستينيات من القرن العشرين ظهور الصحافة النسائية في دول عربية جديدة أبرزها ليبيا، والكويت التي تعد رائدة الصحافة النسائية في منطقة الخليج من حيث السبق في الإصدار وقد غلب على هذه الفترة وبشكل

ملحوظ التيار التقليدي المتأثر بالأفكار الغربية في مجلات المرأة والأسرة العربية ومن الأمثلة على ذلك مجلة «هي» الصادرة عن دار أخبار اليوم والتي كانت تنشر أزياء ومأكولات لا تتناسب مع ظروف وأوضاع المرأة العربية .

كذلك مجلة الحسناء اللبنانية التي قامت بدور جديد غير مسبوق في الصحافة العربية وهو دور خدمي، فعملت ككتالوج نحلات الاستيراد اللبنانية وغيرها . إلا أن ذلك لم يحل دون ظهور صحف نسائية تهتم بقضايا وطنها ودور المرأة فيها لاسيما الصحافة السودانية التي اهتمت بدور المرأة في التنمية شهدت هذه المرحلة تأثر المجلات النسائية العربية بالأيديولوجيات لأيدلوجيات السياسية الحاكمة كما حدث في سوريا حيث التزمت مجلة (المرأة العربية) بالسياسة الإعلامية التي تنتهجها سوريا في ظل ثورة الثامن من مارس ١٩٦٨ كذلك مجلة (المرأة) في تونس الصادرة عن الإتحاد القومي النسائي التونسي التي كانت تتبني اتجاهات الحكومة التونسية .

هذا وقد تميزت فترة السبعينيات من القرن العشرين .. بقلة صدور الصحف النسائية في منطقة وادي النيل والمشرق العربي بينما بدأت تصدر في دول الخليج العربي خلال هذا العقد بشكل أكبر ولعل ذلك يرجع إلى الأجواء السياسية في كلتا المنطقتين حيث كان الخطر الصهيوني والانشغال بمواجهة هذا الخطر هو الأمر المسيطر على منطقة المشرق العربي خصوصًا مصر، بينما كانت الأجواء الخليجية أكثر استقرارًا ونموًا اقتصاديًا بسبب تدفق عائدات البترول على المنطقة مما أتاح الفرصة لظهور هذه النوعية من الصحافة المتخصصة .

وقد اتسمت القضايا التي طرحتها الصحافة النسائية خلال هذه الفترة بالاعتدال حيث اهتمت بالقضايا الاجتماعية التي تؤثر على أوضاع الأسرة، كما برزت قضايا هامة مثل تحديد النسل - الطلاق وآثاره - العنف مع الأطفال .. الزواج بالإكراه بالإضافة إلى ظهور قضايا ذات خصوصية مثل واقع المرأة الفلسطينية في مجلة الفلسطينية الثائرة.

ويلاحظ في هذه الحقبة اعتماد بعض المجلات النسائية على الهبات والمعونات من الأنظمة الحاكمة سواء داخل الوطن أو خارجه . ومن أمثلة ذلك .. مجلة (مشوار اللبنانية) التي أصدرتها سامي مقصد والتي نجحت في كسب رضاء الأنظمة العربية كالسعودية والكويت وكذلك اعتماد مجلة عائشة بالمغرب على الهبات الملكية ولذلك تعثرت تلك الإصدارات بمجرد انقطاع تلك المساعدات. .

أما فترة الثمانينات من القرن العشرين فيمكن اعتبارها فترة التجارب المتميزة في تاريخ الصحافة النسائية العربية ؛ إذ شهدت هذه الفترة عدة محاولات تطويرية في مجال الصحافة النسائية العربية ففي مصر صدرت مجلة (نون) التي طرحت أفكار ورؤى جديدة غير تقليدية . وفي لبنان كانت مجلة (عفاف) التي اختلفت عن سائر المجلات التجارية بلبنان . كما تميزت بشخصية مستقلة عن غيرها كنموذج لمجلة الأسرة المسلمة ، كذلك ظهرت مجلتي (جمالك)، (نور) اللبنانيتين بالتعاون مع نظيراتها من المجلات الفرنسية وصدرت أيضًا مجلة (الفلسطينية) التي عبرت عن واقع المرأة الفلسطينية المهمومة بقضايا وطنها المحتل .

كما برز في هذه الفترة الاهتمام بقضايا المرأة والأسرة والتأكيد على التوجه للمرأة والرجل وكل أفراد الأسرة بشكل عام .

وشهدت هذه المرحلة محاولة طرح مضامين جادة في الصحافة النسائية حتى في تلك المجالات التي تهتم بالشؤون التقليدية وقد برزت من خلال الحوارات الصحفية مع كبار الشخصيات . وكانت تتناول قضايا المجتمع العربي والأسرة.

وأخيرًا تميزت فترة التسعينيات من القرن العشرين : بقلة عدد الإصدارات النسائية مقارنة بالعقود السابقة وكان التأكيد على شعار المرأة والأسرة أو العائلة كعربية هو المسيطر خلال هذه الفترة للتأكيد على أن المجلة تتوجه لكل أفراد الأسرة وأبرزها مجلة نصف الدنيا التي صدرت في مصر عام ١٩٩٠ .

كما تنوعت المضامين بين التقليدية والهادفة وإن ظهرت مجلات تقليدية صرفه تتوجه أساسا إلى طبقة بعينها وهي الطبقة المرفهة ومنها مجلة (هي) ومجلة (الجميلة) السعوديتين.

وكانت المشكلات الاجتماعية والأسرية هي البارزة خلال هذه الفترة .

في ضوء المسيرة التاريخية للصحافة النسائية العربية تبرز أمامنا أهم التيارات الفكرية التي سيطرت على توجهات هذه الصحافة وحكمت ممارساتها

صورة المرأة العربية في الإعلام النسائي:

عندما نتأمل حصاد الدراسات التي أجريت عن مواقف الإعلام المقروء والصحافة النسائية من قضايا المرأة العربية تطالعنا هذه الحقائق:

١- تركز وسائل الإعلام على مجموعة من القيم التراثية التي تؤكد على مشروعية التمايز الاجتماعي والثقافي بين الجنسين باعتباره من الأمور الطبيعية التي لا تقبل الجدل ويؤكد ذلك العديد من الشواهد التي تتمثل في ترسيخ الصور السلبية عن المرأة ككائن جنسي يتسم بالأنانية والتردد والسلبية بالإضافة إلى استخدامها كأداة وكرمز للجنس في الإعلانات حتى وإن لم تكن لها علاقة بالسلع المعلن عنها .

٢-ينحاز الإعلام العربي والصحافة النسائية للصور والأدوار التقليدية للمرأة ويحاول أن يحصرها في ثلاث صور متكررة: الأم المعطاءه ، والزوجة الخاضعة ، والابنة المطيعة ، كما لا يكف عن تحريضها على تقليد النماذج النسائية الأمريكية والأوروبية .

٣- تنحاز الصحافة النسائية للأسر الغنية والشرائح العليا من الطبقة الوسطى من سكان المدن ، وتتجاهل نساء الريف والبوادي إلا في الجرائم وأزمة الشغالات .

٤- تركز وسائل الإعلام العربي على مراحل معينة في حياة المرأة (من سن ٢٠ - ٤٠ عامًا) أي: سن الخصوبة فتولي عناية فائقة للمرأة كزوجة وكأم أما أدوارها وحقوقها في مرحلة الطفولة والمراهقة والشيخوخة فلا تكاد تجد ما تستحقه من اهتمام .

٥- تركز الصحافة النسائية على نجوم المجتمع من الفنانات والرياضيات والدبلوماسيات ونساء الحكم وتتجاهل هموم ومشكلات آلاف النساء من المحاميات والطبيبات والموظفات وربات البيوت والباحثات والفلاحات والعاملات .

٦ - لا تطرح الصحافة النسائية رؤية متوازنة لأدوار ووظائف ومسؤوليات وحقوق المرأة والطفل والرجل داخل الأسرة العربية ، بل تتجاهل الإشارة إلى واجبات ومسؤوليات الرجل وتركز على المسؤوليات والواجبات التقليدية للمرأة وتتعامل مع الطفل باعتباره حلية كمالية داخل الأسرة وليس باعتباره مشروعًا مستقبليًا للمواطن العربي،

٧- تتميز السياسات الإعلامية بالانتقائية والتحيز ضد الإناث ويبرز هذا بوضوح في معظم الموضوعات الصحفية (تحقيقات - تقارير - تعليقات -

قصص). حيث يتم توظيف تراث الحكم والأمثال والقصص الشعبي في إعادة إنتاج الصور التقليدية للعلاقات بين الرجل والمرأة وبينهم وبين أطفالهم .

٨- تتجاهل الصحف النسائية الاحتياجات الثقافية والاتصالية للجماهير النسائية في الريف والحضر والبوادي فلا تخصص إلا نادرًا بريد للقارئات، أو برامج المستمعات والمشاهدات ، كما لا تنظم بصورة كافية حملات إعلامية للتوعية الصحية والبيئية أو للثقافة الأسرية للقطاعات النسائية المحرومة من هذه الخدمات.

٩ - تركز الصحف النسائية على الأدوار الاستهلاكية للمرأة والطفل مستخدمة الإعلانات والأعمال الدرامية التي يتم توظيفها لإعلاء صوت الاستهلاك والفردية والإثراء السريع والقيم الربحية سواء في أعياد الميلاد أو الزواج أو الوفاة مما يغرس أنماط من السلوك الاستفزازي لدى الجمهور المتلقي.

التحديات التي تواجه الصحافة النسائية :

في ضوء الواقع العربي الراهن الذي يزخر بالانجازات والتحديات والمتناقضات والذي يشهد تصاعد ثقافة الصورة وفقدان مؤ سستي الأسرة والمدرسة لوظائفهما في ظل العولمة التي تسعي من خلال الفضائيات وشبكات المعلومات إلى توحيد العالم من خلال تنميط الأذواق وبرمجة البشر في منظومة ثقافية ترسخ النزعة الاستهلاكية وتنشر قيم الفردية والروح النفعية لصالح السوق العالمية والأسواق المحلية .

في ضوء كل ذلك تبرز الإشكالية الخاصة بموقف الإعلام العربي وفى قلبه الصحافة النسائية من قضايا المرأة ويصبح السؤال المطروح- ماذا قدمت الصحافة النسائية للمرأة العربية وهل تسعى حقا إلى تغيير أوضاعها المتردية أم تكتفي برصد الواقع النسائي بسلبياته وايجابياته أم تسعى متعمدة إلى الترويج لمنظومة القيم الاستهلاكية من خلال استغلال المرأة في الإعلانات والدراما على حسب التراث القيمي والثقافي العربي ؟ وقبل أن نحاول الإجابة على هذا السؤال علينا أن نرصد التحديات التي تواجه الصحافة النسائية العربية .

فلا شك أن هناك الكثير من العوائق والصعوبات والتحديات التي رافقت الصحافة النسائية العربية منذ نشأتها ولا يزال معظمها قائمًا حتى اليوم ويمكننا أن نميز بين نوعين من التحديات:

أولًا: تحديات اجتماعية ثقافية تعزي إلى الموروثات التاريخية التي تكرس فكرة النقص الأنثوي ودونية المرأة واعتبارها مخلوقًا يفتقر إلى العقلانية والتوازن ولا تزال هذه الموروثات تؤثر بصور عديدة علنية وخفية على العقل الجمعي في المجتمعات العربية مما ينعكس بصوره سلبيه على السياسيات الإعلامية تجاه المرأة العربية وقضاياها

ويشير المشهد الراهن إلى وجود أربعة تيارات فكرية تتحكم في السياسات الإعلامية العربية تجاه المرأة وقضاياها، وهي التيار السلفي التقليدي الذي يستمد مشروعيته من الموروثات الثقافية والتفسير الذكوري للأديان الذي يرفع من شأن الرجل على حساب المرأة، والتيار الاجتماعي التحرري الذي يرجع إلى دعوات الرواد أمثال: رفاعة الطهطاوي، وقاسم أمين، والطاهر حداد، وخير الدين التونسي، وعبد الرحمن الكواكبي الذين طالبوا بتحرير المرآة ضمن حركة الإحياء القومي، والتيار النسوي الوافد من الغرب الذي يحصر نضال المرأة في أطر معزولة عن حركة المجتمع ويدعو إلى تحطيم النظام الأبوي ثم التيارالعولمي الذي يستفيد من المرأة كعنصر استهلاكي ومادة إعلانية جذابة وكقوة عمل رخيصة غير مؤمنة.

ولقد انعكست هذه التيارات على مواقف الإعلام العربي وفي قلبه الصحافة النسائية من قضايا المرأة ولا تزال الغلبة للتيار السلفي التقليدي الذي يستثمر مقولاته ويكرسه التيار العولمي أما التيار الاجتماعي التحرري الذي يعبر عن نفسه في التيارات المعاصرة التي تنادي بضرورة تمكين المرأة من الحصول على حقوقها المجتمعية من خلال إدماجها في كافة الأنشطة السياسية والاقتصادية والثقافية لا يزال هذا التيار يجاهد كي ينتزع لنفسه موقعًا لائقًا في الإعلام النسائي العربي مقروءًا ومسموعًا ومرئيًا .

ثانيا: تحديات مهنية تتعلق ببيئة العمل الصحفي والإعلامي عمومًا والصحافة النسائية على وجه الخصوص وتشمل علاقات العمل داخل المؤسسات الصحفية وتأثيرها على السياسات التحريرية تجاه قضايا المرأة وأدوارها وهموم الصحفيات العربيات.

يشير المشهد الإعلامي العربي الراهن إلى وجود العديد من القيود المهنية التي توثر بصورة سلبية على الأداء المهني للصحفيات والسياسات التحريرية تجاه قضايا المرأة وتتعلق بسيطرة الطابع السلطوي الأحادي لجانب على علاقة

القيادات الإعلامية بالمحررين والمحررات وغياب عنصر المشاركة والتشاور. يضاف إلى ذلك علاقة الصحفيين والصحفيات بمصادر المعلومات التي تحكمها المصالح الشخصية وغياب الوعي بضرورة تدفق المعلومات وتداولها إعمالا لحق المعرفة والاتصال وضمانًا لأداء الصحافة لرسالتها في نشر الوعي الصحيح بالقضايا المجتمعية وفي مقدمتها قضايا المرأة .

هذا وتشير الدراسات إلى افتقار معظم الإعلاميات العربيات إلى الوعي الثقافي والمجتمعي مما أدي إلى إسهامهن بوعي أو بدون وعي في إعادة إنتاج القيم المعوقة للتطور. وقد لوحظ أن السياسات الإعلامية الخاصة بالمرأة والأسرة لم يطرأ عليها أية تغييرات إيجابية من خلال فترة تولي القيادات النسائية في حقل الإعلام ، كما لوحظ أن القيادات الإعلامية الذكورية لا تمتلك تصورًا محددًا إزاء قضايا المرأة إذ يتأرجحون بين الاتجاهات التقليدية السلفية التي تؤمن بالموروثات التاريخية وفكرة النقص الأنثوي وسيطرة النمط الأبوي الذكوري وبين الاتجاهات المتغربة الوافدة وقليل منهم يتبني الاتجاه الاجتماعي المستنير. وينعكس هذا الخليط الفكري في صورة تناقضات يعاني منها الإعلام الخاص بالمرأة والأسرة العربية .

هذا وتعاني الإعلاميات العربيات من الصورة التقليدية السائدة لدى رؤسائهم عن المرأة العاملة في مجال الإعلام إذ يعتبرونها أقل في مستوى القدرات المهنية من زملائها الرجال ، ولذلك يفضلون ترشيح الرجال للدورات التدريبية وللسفر للمؤتمرات الدولية وللمناصب القيادية ، ولا شك أن كثرة الضغوط النفسية والمهنية وعدم التشجيع يصيب الإعلاميات بالإحباط والسلبية ، هذا من جانب بيئة العمل الإعلامي ، أما من جانب مؤسسة الأسرة فالعمل الإعلامي والصحفي على الأخص يتطلب قدرًا من التفرغ والحركة مما يتعارض مع المسؤوليات الأسرية للإعلاميات والتي لا يزال الرجل معفي منها تمامًا داخل المنزل ، أما من جانب المجتمع فلا تزال شرائح اجتماعية عديدة في المجتمعات العربية تنظر إلى عمل الإعلامية والصحفية نظرة غير لائقة مما يخلق صراعات مستمرة بين الإعلاميات ومنظومة القيم الاجتماعية السائدة مما يستلزم ضرورة تغيير أجندة المسؤوليات الاجتماعية والأسرية الملقاة على عاتق النساء عمومًا والإعلاميات على وجه الخصوص ويتطلب تغيير هذه الأجندة ضرورة مشاركة كافة الأطراف المعنية .

الخاتمة:

يلاحظ من خلال تتبع مسيرة الصحافة النسائية في الوطن العربي اعتمادها على الجهود الفردية خصوصًا في بدايات صدورها غير أن ذلك لم يحل دون اهتمامها بطرح الكثير من القضايا الجوهرية مثل التعليم والعمل والسفور والمشاركة السياسية والاجتماعية . وبالرغم من دخول الجمعيات والاتحادات النسائية والمؤسسات الصحفية الكبرى في إصدار العديد من المجلات النسائية منذ الخمسينيات غير أنه شابها الكثير من نقاط الضعف التي تمثلت في غلبة الطابع الدعائي للأنظمة الحاكمة من ناحية وللاتحادات والمنظمات النسائية من ناحية أخري علاوة على سيطرة الإعلانات وتأثيرها على صورة المرأة في المجلات النسائية حيث كان يتم التركيز عليها كعنصر استهلاكي أو كعامل جذب جنسي.

وقد اتسمت معظم المجلات النسائية بظاهرة قصر العمر بسبب اعتمادها على الأفراد وقلة الإمكانيات المادية مما كان يؤدي إلى صعوبة استمراريتها .

هذا وقد اعتمدت الصحافة النسائية في بداياتها على مواد الرأي خصوصًا المقالات والقصص وقد استمر هذا الوضع حتى نهاية الأربعينيات ثم ظهرت بعد ذلك مختلف الفنون التحريرية مثل التحقيق الصحفي والتقارير الصحفية، وتقارير الخدمات والحوارات والأحاديث الصحفية .وقد ظهر بوضوح علاقة التلازم بين ازدهار المجلات النسائية ورواجها ومدى شيوع حرية الصحافة في المجتمعات العربية فكلما سادت حرية التعبير وصدرت القوانين والتشريعات التي تشجع على حرية الإصدار كلما ازدهرت الصحافة العربية عمومًا وفي قلبها الصحافة النسائية . وقد بدا ذلك واضحًا من خلال تتبع المراحل التاريخية المختلفة التي مرت بها الصحافة النسائية في مختلف الدول العربية .

وفي النهاية تقودنا هذه الدراسة والنتاج التي أسفرت عنها إلى طرح السؤال التالي : ما العمل؟

وكيف نستطيع تغيير صورة المرأة العربية في الإعلام وخلق وعي حقيقي بقضاياها ومشاكلها مرتبطًا بمشكلات الواقع العربي الراهن والتحديات التي يواجهها في حقبة العولمة لا وكيف نتوصل إلى إرساء سياسات إعلامية منصفة

ومتوازنة تجاه قضايا المرأة العربية وإشكالياتها، سياسات إعلامية تأخذ في الاعتبار المسؤوليات العديدة التي تتولاها المرأة داخل وخارج المنزل ولا تغفل الانجازات الفعلية التي حققتها المرأة في مجالات التعليم والإنتاج والإبداع الفني والثقافي والعلمي وتبرز العوائق الفعلية التي تحول دور إطلاق طاقات المرأة مثل تركة الموروثات الثقافية والاجتماعية وقوانين الأحوال الشخصية والأمية تراعي طرح آراء المرأة في كافة القضايا المجتمع التي يهتم بها الإعلام في السياسة والاقتصاد والفن والأدب والثقافة والإبداع .

إن الإعلام البديل الذي نتطلع إليه هو الإعلام الذي يتميز بالطابع التربوي والتعليمي ويأخذ بالمنظور النقدي ويستهدف تغيير وجهات النظر التقليدية السائدة حول قضايا المرأة العربية ، ويطرح رؤية نقدية تصمد أمام الإعلام التجاري وتكشف مساوئه ودوره في تزييف وعي الجمهور بوضعية المرأة وأدوارها .. ومن أجل تحقيق هذا الهدف تبرز مجموعة من الضرورات أوجزها على النحو التالي

١ - ضرورة الوعي بوضع إستراتيجية قومية للإعلام عن المرأة والأسرة العربية تحدد الأولويات والسياسات والبرامج التنفيذية في مجال الإعلام المقروء والمرئي والمسموع تجاه قضايا المرأة والأسرة العربية وتستهدف إزالة كافة المعوقات التي تحول دون الاستفادة من التطور العلمي والتكنولوجي في مجال الاتصال والمعلومات من أجل توظيف وسائل الإعلام توظيفًا سليمًا يسعى إلى ترسيخ منظومة القيم الإيجابية القادرة على تطوير الأدوار الاجتماعية والثقافية للأسرة العربية في مواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تطرحها حقبة العولمة .

٢ - ضرورة التنسيق بين وسائل الإعلام العربية المطبوعة والمرئية والمسموعة من ناحية ومراكز البحوث والجامعات وكافة الهيئات الرسمية والأهلية المعنية بقضايا المرأة والأسرة العربية للإسهام في تطوير البرامج الدرامية ووضع ضوابط أخلاقية للإعلانات التي تتناول القيم الأسرية .

٣- ضرورة التزام القيادات الإعلامية العربية بمراعاة الوظيفة الاجتماعية والثقافية للإعلام وأدواره الحيوية في تشكيل الوعي الصحيح عن الواقع المجتمعي بكل ما يحويه من موروثات ثقافية وتحديات اجتماعية وطموحات إنسانية عادلة.

٤- ضرورة الاهتمام بإعداد برامج تدريبية وتثقيفية للإعلاميين والإعلاميات العرب للنهوض بمستويات الوعي والأداء الإعلامي في مجال المرأة والأسرة .

٥- حث الإعلام عمومًا وعلى الأخص الصحافة النسائية على مراعاة التوازن النوعي في معالجة كافة القضايا السياسية والاقتصادية والثقافية بحيث يتم مراعاة تضمين رأي النساء في هذه القضايا وعدم تهميش لفقيرات في الريف والحضر والبوادي وخصوصًا الطفلة وذلك للمساعدة على خلق تنشئة اجتماعية سوية ومتكافئة بين الجنسين داخل الأسرة وبين الشرائح الاجتماعية المختلفة داخل المجتمع ككل .

٦- حث الجمعيات الأهلية والمنظمات غير الحكومية على إقامة الندوات والأنشطة الجماهيرية المتعلقة بقضايا المرأة والعمل على إدماجها في عملية التنمية والاستعانة بالصحافة النسائية لبثها على أوسع نطاق من خلال تعاونها مع وسائل الإعلام المقروء والمرئي والمسموع .

٧- خلق شبكة اتصال بين لمجلات النسائية في الوطن العربي للتنسيق والتعاون وتبادل المواد الإعلامية المتعلقة بقضايا النساء العربيات في الريف والحضر والبوادي.

٨- الاستعانة بالمنظمات الدولية مثل اليونسكو واليونيسيف واليونيفام للإسهام في إصدار مجلات نسائية متطورة في المناطق المحرومة إعلاميًا مثل صعيد مصر والمناطق الريفية النائية في العالم العربي.

وفي النهاية أختتم هذه الدراسة بالتوجه إلى جميع النساء والرجال المنتمين إلى الوطن العربي للسعي بإخلاص وجدية لإزالة كافة المعوقات التي تحول دون نهوض مجتمعاتنا إلى المستوى اللائق بها، وذلك بالعمل الدؤوب لنشر الفكر العقلاني ، وترسيخ قيمة الانتماء للوطن العربي الكبير والسعي بدأب لإزالة تركة الموروثات التاريخية والقانونية التي تحاصر الجماهير العربية نساء ورجال والتي تهدر الطاقات والمواهب العربية وتسطح الوعي وتلهث وراء الأوهام الاستهلاكية .